اللسانيات والصوتيات العربية في نظر المستشرقين المستشرق ألكسندر ميخائيلو فيتش بيروزين نموذجا

د.عيساوي عبد القادر

جامعة سيدي بلعباس

Abstract:

For a long time has been Orientalists, from Europe, America and elsewhere, the study and research in all aspects of the Middle, from the date of religions, cultures and languages, and about linguistics but also audios.

Among these we find the Russian Orientalists Orientalist Alexander Mikhailovich Piroozan.

Keywords:

Orientalists - Linguistics – Acoustics – Sciences- Arabic Linguistics.

منذ فترة طويلة ـ هلّ المستشرقون، من أوربا وأمريكا وغيرهما، على الدراسة والبحث في كل ما يتعلق بالشرق، من تاريخ وأديان، وثقافات ولغات، ونحو ولسانيات وصوتيات أيضا. ومن هؤلاء المستشرقين نجد المستشرق الروسي ألكسندر ميخائيلوفيتش بيروزين، الذي كتب كتابا بالروسية تحت عنوان "تاريخ الدراسات اللسانية"، والذي صدر بموسكو سنة 1987، والذي ترجم إلى عدة لغات منها العربية.

وقد تناول في هذا الكتاب إسهامات الهنود والإغريق والرومان والعرب في مجال اللسنايات والصوتيات. غير أن ما يهمنا نحن، هو ما تناوله عن جهود العرب في هذا المجال.

وسنقتبس ما طرحه المستشرق بيروزين من أفكار وآراء ووجهات نظر في كتابه، المومى إليه آنفا، مع إدراجنا لها تحت عناوين توضيحية.

أصل اللسانيات والصوتيات العربية:

يقدم بيروزين رأيين حول تأسيس اللسانيات العربية ونشأتها، هما على النحو الآتي:

*الاقتباس: مفاد هذا الرأي أن العرب، في مجال اللسانيات، كما في مجالات أخرى، تأثروا بحضارات الأمم التي سبقت حضارتهم، كالهنود واليونان والرومان خصوصا. وبالتالي اقتبسوا منهم العديد من المفاهيم والمبادئ والنظريات في اللسانيات. وحسب هذا الرأي فإن اللسانيات الهندية والإغريقية والرومانية لها فضل في تأسيس اللسانيات العربية، أو أن هذه الأخيرة ثمرة لسابقاتها.

*الاستقلال: مؤدى هذا الرأي أن اللسانيات العربية تأسست بصفة مستقلة عن غيرها من اللسانيات التي عرفت قبل العرب من حضارات.

والذي نراه أن العرب تأثروا في نواحٍ معينة، قد لا تكون اللسانيات والصوتيات جزءا منها. لأن العرب اشتغلوا بهذين العلمين قبل احتكاكهم بغيرهم من الأمم كالهنود والإغريق والرومان. حيث دفعهم الاهتمام بالقرآن وقراءاته إلى إحداث هذين العلمين. وحتى إن اقتبسوا من غيرهم في هذا الصدد، فإنه يكاد يكون قليلا، مقارنة بإسهاماتهم الجليلة، وإبداعاتهم العظيمة.

دواعي اهتمام العرب باللسانيات والصوتيات:

يرجع بيروزين الأسباب والدواعي التي حدت بالمسلمين إلى الاهتمام بعدة علوم، منها اللسانيات والصوتيات، إلى سببين هما:

1. تمكين من المسلمين، على اختلاف شرائحهم وألوانهم وأعراقهم، من الفهم الجيد والإدراك الكبير لكتابهم المقدس القرآن الكريم.

2. المحافظة على اللغة العربية الفصحى وصونها من التأثر باللهجات.

والواقع أن ذلك الاهتمام لا يعود إلى هذين السببين فقط، بل إلى أسباب أخرى، كالحفاظ على الحديث الشريف، لأنه في المرتبة الثانية بعد القرآن، وتدوين العلوم الشرعية، وتعليم دين الإسلام للمسلمين، لا سيما الأعاجم منهم، وكذا فهم أشعار السابقين، ونظم أشعار أخرى .

مشاهير اللسانيات والصوتيات العربية:

،يقدم بيروزين عالمين اثنين من كبار علماء العربية القدامى، معتبرا إياهما مؤسسين للسانيات العربية، وهما الخليل بن

أحمد الفراهيدي ، ويبدو ذلك جليا من خلال مؤلفه الشهير "كتاب العين"، وهو قاموس في اللغة العربية. والعالم الثاني هو سيبويه، من خلال مؤلفه الذائع الصيت "الكتاب"، والذي عرض فيه النحو العربي في أكمل صورة، حتى أن لاحقيه من اللغوين لم ،يضيفوا جوانب هامة أخرى في هذا النحو.

إن هذين العالمين لهما إسهامات جبارة في العربية عموما واللسانيات خصوصا، غير أنه يوجد علماء ،آخر أثروا الدراسات اللسانية، مثل أبي الأسود الذؤلي، ونصر ابن عاصم الليثي ويحي بن ،يعمر الوشقي العدواني ، وابن جني، والأخفش، وغيرها .

إسهامات العرب في اللسانيات الصوتيات

يمكن إجمال ما ذكره بيروزين، فيما يخص إسهامات العرب في اللغات وعلوم العربية، ومنها اللسانيات الصوتيات، في المحاور التالية:

-1 بنية اللغة العربية من صوتيات، وعلم المفردات وعلم المعجمات ، وعلم الصرف، والنحو.

-2 أصل اللغة، وللعرب في هذا نظريتين: النظرية التوقيفية والنظرية الاصطلاحية.

-3 الوظيفتين الأساسيتين للغة: الوظيفة الاتصالية والوظيفة التعبيرية.

-4 التمييز الدقيق بين الصوت والحرف.

5-الوصف الدقيق للأصوات على أساس فزيولوجي، باستخدام في نفس الوقت المبدأ السمعي. فقد أشار سيبويه إلى 16 مخرجا لـ 29 صوتا صامتا، وأعطى وصفا دقيقا لنطقها. كما بين العرب بأن الصوائت تخضع للصوامت.

-6 البيان الجيد لأعضاء جهاز النطق وأوضاعها، مثل أوضاع الشفتين ، واللسان.

7- علم المعجمات من أهم فروع اللسانيات العربية، حيث قام العرب بإحاطة ممتازة للمادة اللغوية للمعجمات،،مدرجين فيها عدد كبير من المفردات. ونذكر في هذا الصدد ستة مجموعات من المعجمات: معجمات لغوية، معجمات موضوعاتية، معجمات الألفاظ النادرة، معجمات الألفاظ الدخيلة، المعجمات المترجمة. ومن أهم المعجمات العربية: "لسان العرب" لابن منظور (ت 1311م)، و"القاموس" للفيروز آبادي (1326-1414 م).

-8 ـ لمس العرب بحوثهم في النحو بدراسة البنية المميزة للغة العربية، التي سمحت لهم بالتحديد الدقيق لأقسام الكلام ومفاهيمها، والجذر الثلاثي، ودراسة معاني السوابق واللواحق، والتصريف الداخلي.

-9 أولى العرب علم النحو عناية وافيةحتى استفاد من ذلك الأوربيون، ويتضح هذا في دراسات ف. بوب.(F. Bopp)

10- أدرك العرب، أثناء دراستهم النحو، التحليل البنيوي – الدلالي للجملة، والتي قسموها إلى جملة اسمية وجملة فعلية وجملة ظرفية .

-11 عرف العرب جيدا العلاقات النحوية، مثل التنسيق، والتعدي، والملاصقة.

12- ـأثرت كثيرا اللسانيات العربية في عدة علماء أعاجم، مثل العالم التركي محمود ابن الحسين ابن محمد، والمعروف باسم محمود الكشغاري، الذي عاش في القرون الوسطى.

الإحالات:

[1] - د. رماس فتيحة، مقال" الدراسات اللسانية في الهند القديمة"، مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية، عدد ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1426هـ/2005 م، ص. 268-273.

[1] - الخليل بن أحمد الفراهيدي: اسمه عبد الرحمن وشهرته الخليل. أشهر علماء اللغة والأدب، وواضع علم العروض. من أهل البصرة، شيخ سيبويه والأصمعي. ـألف كتاب "العين" ، والذي يعتبر أول معجم عربي على الحروف، بدأه الخليل بحرف العين، ولم يكمله. توفي نحو 786.

مجموعة مؤلفين، المنجد في الأعلام، م.س، ص234 و 383.

أحمد بن الطاهر منصوري، المختصر في فقه ومتن اللغة العربية للطلاب، د.ط، د. د، د. م، د.ت، ص 9.

[1] - نصر ابن عاصم الليثي (ت 89 هـ / 708 م): فقيه تابعي وعالم بالعربية. ـينسب إليه بعضهم وضع النحو.

يحي بن ـيعمر الوشقي العدواني (ت 129 هـ / 746 م): عالم تابعي ومن كتاب الرسائل الديوانية. كان كاتبا ليزيد بن المهلب وللحجاج بن يوسف.

وهما تلميذا أبي الأسود الذؤلي، عاشا في القرن الأول الهجري. وهما اللذان وضعا نقاط الإعجام بعد حوالي 20 سنة من وضع نقاط الشكل. وكانا يرسمان نقاط الإعجام بمداد يختلف عن نقاط الشكل

التي اخترعها أبو الأسود الذؤلي، حتى لا يلتبس نوعا النقاط على القراء. وعملهما يعد تكملة لعمل أستاذهما، وذلك فيما يخص توضيح الكتابة وتيسير القراءة.

د. إميل يعقوب، الخط العربي: نشأته، تطوره، مشكلاته، دعوات إصلاحه، د. ط، جروس برس، طرابلس (لبنان)، د. ت، ص 27. نقلا عن: الزركلي، الأعلام، 24/8 و 177.

د. عبد الفتاح مصطفى غنيمة، موسوعة الفنون الإسلامية: دراسات حول الكتابة العربية – تاريخها وتطورها، ج. 1، د. ط، د. د، د. م، 1991، ص 152.

[1]- لفظ معجم له جمعان: جمع سالم معجمات، وجمع تكسير معاجم.

[1] -، فضل استعمال مصطلح (الشفتين) بصيغة المثنى، والذي نعتبره هو الصحيح، بدل مصطلح (الشفاه)، بصيغة الجمع، المستعمل من طرف بعض الباحثين، و الذي نرى عدم صحته، في مثل هذا المقام. وذلك لأن للإنسان شفتين اثنتين، عليا وسفلى، لا أكثر.

ونظن أن مصطلح (الشفاه) أخذه هؤلاء الباحثون عن لغة أجنبية (كالإنجليزية والفرنسية)، والتي ليس فيها صيغة المثنى، بل صيغة الجمع فقط. وقام هؤلاء الباحثون بترجمة المصطلح الأجنبي في صيغة الجمع إلى مصطلح عربي في صيغة الجمع، دون الانتباه إلى العدد المقصود، فكان ما كان.